

(٤) المنهج التكاملـي :

عرضنا حتى الآن إلى ثلاثة من مناهج النقد الأدبي ، هي : المنهج الفنـي ، والمنهج التاريخـي ، والمنهج النفـسي . ولكن لا يزال هناك منهج رابع ، هو « المنهج التكاملـي » .

والمنهج التكاملـي يتـالـف من المنـاهـجـ الـثـلـاثـةـ السـابـقـةـ ، ويـسـتـخـدـمـهاـ مجـتمـعـةـ مـتـكـامـلـةـ متـداـخـلـةـ كـلـاـ استـدـعـيـ التـنـقـدـ ذـلـكـ . وـعـلـىـ هـذـاـ فـهـوـ مـنـهـجـ مـرـنـ لاـ يـقـفـ عـنـ حـدـودـ مـعـيـنـةـ ، وـإـنـماـ يـأـخـذـ مـنـ هـذـهـ مـنـهـجـ ماـ يـرـاهـ مـعـيـنـاـ عـلـىـ إـصـارـ أـحـكـامـ مـتـكـامـلـةـ عـلـىـ الـأـعـالـمـ الـأـدـبـيـةـ مـنـ جـيـعـ جـوـانـبـهاـ .

ولـمـ دـلـلـ «ـ المـنـهـجـ الفـنـيـ»ـ هوـ أـقـرـبـ مـنـاهـجـ النـقـدـ الـأـدـبـيـ إـلـىـ طـبـيـعـةـ الـعـمـلـ الـأـدـبـيـ،ـ وـيـكـادـ يـكـونـ بـذـاتـهـ مـنـهـجـ مـتـكـامـلـاـ ،ـ لأنـهـ مـزـيـجـ مـنـ هـذـهـ الـنـهـجـ التـارـيـخـيـ،ـ وـالـنـهـجـ التـقـرـيـريـ،ـ وـالـنـهـجـ الـنـفـسـيـ .ـ وـلـكـنـهـ مـعـ ذـلـكـ يـظـلـ بـحـاجـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـنـهـجـ التـارـيـخـيـ،ـ وـالـنـهـجـ الـنـفـسـيـ،ـ لـأـنـ كـلـاـ مـنـ الـمـلـاحـظـةـ التـارـيـخـيـةـ وـالـمـلـاحـظـةـ الـنـفـسـيـةـ عـنـصـرـ ضـرـورـيـ فـيـ بـعـضـ جـوـانـبـهـ .

وـكـلـ مـنـهـجـ مـنـاهـجـ النـقـدـ الـأـدـبـيـ هوـ فـيـ حـقـيقـتـهـ حـصـيـلـةـ تـجـارـبـ النـقـادـ وـمـارـسـتـهـمـ لـعـمـلـيـةـ النـقـدـ خـلـالـ عـصـورـ طـوـيـلـةـ .ـ وـاسـتـخـدـامـ هـذـهـ مـنـاهـجـ مـفـيدـ مـنـ قـبـلـ النـقـادـ طـالـمـاـ نـظـرـواـ إـلـيـهـاـ عـلـىـ أـنـهـاـ أـضـوـاءـ كـاشـفـةـ عـلـىـ طـرـيـقـ النـقـدـ .ـ أـمـاـ إـذـاـ نـظـرـواـ إـلـيـهـاـ عـلـىـ أـنـهـاـ قـوـاعـدـ وـقـوـانـينـ وـاجـبـةـ الـاتـبـاعـ فـإـنـ ضـرـرـهـاـ يـكـوـنـ أـكـثـرـ مـنـ نـفـعـهـاـ عـلـىـ النـقـدـ وـالـنـاقـدـ .

أـمـاـ ضـرـرـهـاـ عـلـىـ النـقـدـ فـيـتـمـثـلـ فـيـ أـنـهـاـ تـقـسـدـهـ وـتـخـنـقـهـ وـتـقـضـيـ عـلـىـ روـحـهـ،ـ وـبـالـتـالـيـ تـؤـثـرـ فـيـ الـأـدـبـ وـتـحـاـوـلـ أـنـ تـفـرـضـ عـلـيـهـ مـاـ لـيـسـ فـيـ طـبـيـعـتـهـ،ـ وـتـتـحـكـمـ فـيـ حـرـيـتـهـ وـانـطـلـاقـاتـهـ الـقـيـهـ مـصـدرـ إـبـدـاعـهـ وـابـتـكـارـاتـهـ .

وـأـمـاـ ضـرـرـهـاـ عـلـىـ النـاقـدـ فـيـتـمـثـلـ فـيـ أـنـ تـقـيـلـهـ بـأـصـولـ هـذـهـ مـنـاهـجـ وـحـدـودـهـاـ مـنـ شـائـهـ أـنـ يـحـمـلـهـ عـبـدـاـهـاـ،ـ وـأـنـ يـضـعـفـ مـنـ شـخـصـيـةـ النـاقـدـ فـيـهـ،ـ رـأـنـ يـحـمـدـ

نشاطه الخلاّق ، وأن يجذب من روح التجديد والابتكار عنده ، تلك الروح التي تعينه على أن يضيف جديداً إلى التراث النصي .

وبعد ... فقد أشرنا في عرضنا السابق إلى أن كلاً من « النهج الفني » و « النهج التاريفي » و « النهج النفسي » لم يسلم من قصور و مآخذ ، ومن هنا تبدو قيمة « النهج التكامل » في تلافي هذا النقص . فهو كما ذكرنا منهجاً مِنْ يتناول الأعمال الأدبية من كل نواحيها ويتناول أصحابها كذلك ، ويستمد من أصول المنهج الأخرى وعنابرها كل ما يراه مناسباً وضرورياً ، وبذلك يخرج النقد لأي عمل أدبي على صورة أتم وأشمل ..

وما يلاحظ على النقد العربي الحديث أنه كثيراً ما يسلك طريق « النهج التكامل » الذي يضم في ثناياه أهم مزايا المنهج الأخرى ...